زيارة شهيد العصر

الإمام

السيد محمد باقر الصدر

(رضوان الله عليه)

بسم الله الرحمن الرحيم

سليل الدوحة النبوية

هو السيد محمد باقر بن السيد حيدر بن السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين بن السيد صالح بن السيد محمد، بن السيد إبراهيم شرف الدين، بن السيد زين العابدين بن السيد علي نور الدين، بن السيد حسين، بن السيد محمد، بن السيد حسين بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد تاج الدين، بن السيد محمد بن السيد عبد الله، بن السيد أحمد، بن السيد حمزة، بن السيد سعد الله بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد عبد الله، بن السيد محمد، بن السيد طاهر، بن السيد حسين بن السيد موسى بن السيد إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

ولد الإمام الشهيد الصدر (رض) في يوم دحو الأرض الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م - في الكاظمية.

ـ ذاق لوعة اليتم مبكراً كما ذاقها الكثير من الأنبياء والعظماء، فقد توفي والده العالم العابد السيد حيدر وهو لا يزال صبياً، وقد حفظه الله لامّه التي فقدت قبله العديد من أولادها، وأدخره سبحانه لها بلطفه مع أخيه الأكبر إسماعيل وأخته (آمنة).

ـ ترعرع في أحضان أمه الطاهرة (بتول)، وهي فرع العائلة العلمائية العريقة (آل ياسين)، وكانت مثال الطهر، والتقوى، والسمو النفسي، والتعلق بالله سبحانه، وملازمة كتابه، والرضا بقضائه، والصبر على مكاره الدنيا وصعابها، احتساباً ورجاءً لما عند الله تعالى مما وعد به عباده الصالحين، وأولياءه الصادقين، وقد حبت وليدها المبارك بمنتهى العطف والحنان المشفوعين بالإكبار والاعتزاز، وراحت ترسم له مساره على هدي ما تتوسم وتستشرف أن يكون له شأن فذ، وهي محبورة موقنة بصدق رؤيا جده التقي العارف إسماعيل الذي رأى في منامه أن

الإمام الرضا عليه السلام يبشره بأنه يولد منه رجل عظيم يحيي الدين والشريعة.

وكانت تريد له غاية الخير بلهفة روحها وهدهداتها ومناغاتها، وترضعه رجاءها ذلك، وشوقها إليه، وتحدثه وهو يتفتح برعماً حالماً في روضها الفيّاح ـ عن طموحها الكبير أن يكون لها منتهى أملها فيه في الحوزة، حوزة المعالي ونهج آبائه الأكرمين.

ـ كان منذ نعومة أظفاره منشدّاً بفطرته وتربيته إلى الكمال، باحثاً عما يرتفع به إلى مصاف المقربين، فكان هو في صباه يحلم أن يلتحق بالحوزة العلمية ليسير مسار سلفة الأبرار في انتهال المعرفة والبصيرة من كتاب الله، وسنة نبيه، وهدي أهل بيته الكرام، ومعارف خلفائهم المكرمين من حفظة الشريعة وعلمائها.

ـ درس الابتدائية في مدارس منتدى النشر في الكاظمية، وكان في تلك المرحلة مثار الإعجاب والإكبار لدى أساتذته وزملائه الصغار، كما كان عنوان الرزانة، والمتانة، والخلق الرفيع، بسلوك

عقلائي رصين، عليه وقار الشيوخ، وهيبة الكبار، وكان لديه فكر متنور متطلع يدفعه ليقرأ ما فوق مستوى أمثاله، مغرماً بالمطالعة والمعرفة، وتعلم أفكار الزمان وثقافة العصر، وكأن لطفاً غيبياً يأخذ بيده نحو المستقبل المرسوم له من قبل المشيئة العظمى التي تنتجب من تريد من العباد لما تريد من عظائم الأمور، وجلائل الأحداث والمواقف.

ـ كان الصمت، والهدوء، والحياء، والإغضاء، والخيال التوقد أبرز ما في سمته وسلوكه في ذلك العمر الغض اليانع الذي كُتِب لأمثاله في ناموس التكوين غير تلك المظاهر التي هي نصيب الرجال ذوي الأعمار، والتجارب، والدَرَبة، والثقافة الواسعة، والفهم المسدد.

ـ مارس وهو في الدور الابتدائي مهمة المبلغ المرشد، وكان يؤم التلاميذ في الصلاة، ويقوم بإلقاء الخطب وقصائد الشعر عن ظهر قلب في المناسبات الدينية في الكاظمية.

ـ كانت لديه وهو في الابتدائية دروس خاصة في المعارف الحوزوية، وقد يغيب لها عن مدرسته ليأتي في فترة الامتحانات، وينال أعلى الدرجات، وكان أساتذته يودون لو سمحت المقررات التعليمية آنذاك أن يقفز عبر المراحل المرسومة في التعليم ليدخل الثانوية أو الكلية، فهو أهل لهما، ولكن العرف التعليمي يظلم قابلياته العقلية الهائلة، ويقيد خطاه الاستثنائية في حدود الأصول الدراسية الموضوعة.

ـ رفض الاغراءات الفاتنة التي كان يطلقها أمامه من توسموا فيه مستقبلاً زاهراً في غير المجال الذي جرى حبه في دمه، وذابت فيه مشاعره، وهو الحوزة.

وكانت تلك الأماني والرغبات تواجه من قبله بالصدود والاعراض حتى وهي تزين أمامه من محبيه والمعجبين به، وفيهم السيد محمد الصدر الذي مارس رئاسة الحكومة والبرلمان في العهد الملكي، وقد أراد لهذا الصبي النابه الوثاب من أهل بيته أن

يقفو خطاه في اقتحام عباب الدنيا في خضم الحياة إلى المواقع العليا، والمنال الدنيوي الباهر.

- هاجرت به أسرته إلى النجف سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م وهو في الثانية عشرة من عمره، حيث محط الرحال لطموحه الفذ ونبوغه العملاق، منطلقاً بعزمه الفريد في سُبُحات الإسلام العظيم، محلقاً بشوقه وعشقه واقتدار همته في رحاب الشريعة الغراء، باحثاً بقلبه الشغوف وروحه الهائمة عن أسباب المعرفة الإلهية، ووسيلة القرب الأسمى من بارئه الكريم.

ـ مارس في هذه السن اليافعة كتابة الردود والتعليقات والملاحظات على ما يقرأ، ودوّخ بعض أساتذته في إشكالاته ومؤاخذاته وإبداعاته في النقد والنقاش، وقد كتب موسوعته الأصولية (غاية الفكر) وهو في العشرين من عمره، وهي أساس أفكاره الأصولية، وكانت رصينة ومتينة بحيث لم يستطع بعد ذلك وهو في أوج شموخه العلمي أن يجد مبرراً للتغيير فيها أو تعديلها.

ـ كانت دراسته في الحوزة في بعض فصولها بالمطالعة الخارجية، وعلى طريقة شرح المادة من

قبلـه أمـام الأسـتاذ الـذي يقـوم بمناقشـته فـي بعـض الموارد التي يرتئي مناقشته فيها.

ـ حرم عليه أحد أساتذته (التقليد) وهو في بدء سن التكليف تقريباً، أي في عام (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م). وأخبره أنه لا يجوز لمثله أن يأخذ حكم الشريعة عن غير قدرته العلمية البارعة في استنباط الأحكام من مظانها.

ـ عـايش الهم السياسـي الإسـلامي مبكـراً، وكـان يقـضّ مضـجعه أن يـرى جحافـل الضـلال تبـث تنظيماتها في أوساط الأمة جراثيم قاتلة، فبادر وبلغة العصر وأساليبه وعلى قاعدة (لا ينتشر الهدى ألا من حيث انتشر الضلال) إلى تأسيس العمل التنظيمي الإسـلامي سـنة ١٩٥٧م، وأسـماه (حـزب الـدعوة)، وكتـب لـه مبادئـه، ورسم لـه منهاجـه، لينطلـق فـي ميدانـه دعـاة الله وبـروح إيمانيـة حضـارية إلـى جذب صفوف الأمة إلى رحاب عقيدتها بالوعي، والإرشاد، ونظم الصفوف، والتوجيه العلني والسري، واستغلال السـبل والمناسـبات المتاحـة والمشـروعة فـي هـذا الطريـق الـذي هـو مـن أقصـى ضـرورات الواقـع واستحقاقات المرحلـة والظرف المعاش، فـي عمليـة

بناء الأمة والدفاع عن عقيدتها على جادة التغيير المنشود في إطار الفريضة الكبرى (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ـ حقق طموحه الفذ بتوجيه الحوزة نحو دورها القيادي في الأمة، فساهم مساهمة كبرى في التحريك لتأسيس جماعة العلماء سنة ١٩٥٨م، وباشرت نشاطاتها وحضورها الريادي في الساحة من خلال الإصدارات، والبيانات، والنشرات، وإحياء المناسبات، وغيرها، وكانت مجلتها (الأضواء) بأهم ما يكتب فيها وهو بحوث (رسالتنا) من إبداعاته الشامخة.

ـ في هذه السبيل الرسالية التي كانت همه المستغرق أبدع مشروع المرجعية الصالحة التي تنضوي تحت لوائها كل قوى الأمة وفعالياتها، لتقود بها جميعاً الحالة الإسلامية، وركز على معالم الدور القيادي للمرجعية الواعية الرشيدة التي تنفتح على كل الأمة بكل اقتدار الوعي، والمسؤولية، والبصيرة، والعطاء، والتصميم على التضحية، وكان يعبر في أحد رسائله عن هذه المرجعية بأنها (المرجعية النائبة عن الإمام الصادق، ويجب أن تقدم أحكام الشريعة

في إطار فقه أهل البيت إلى العالم بلغة العصر ومنهجته، وبروح مخلصة، وتظهر الاجتهاد الامامي باعتباره اجتهاداً حياً على مستوى العصر ليعود نائب الإمام الصادق مرجعاً للمسلمين عموماً كما كان الإمام كذلك).

اقترن وهو في الثامنة والعشرين من عمره بابنة عمه، كريمة آل الصدر، شقيقة السيد موسى الصدر، وذلك بعد أن مشى أهم خطواته في طريق الخدمة الإسلامية التي كانت شغله الشاغل، لكأنه لم يكن يهتم بما يهتم به غيره من أمر الزواج. لقد كانت خطوة زواجه تالية لمساعيه الجهادية، وذلك بعد أن أسس العمل السياسي الإسلامي، وحرك لتأسيس (جماعة العلماء)، وقام بدعمها بتوجيهاته وفكره وقلمه، وكتب فرائده الفكرية (فلسفتنا واقتصادنا)، وكان الشهر الأول لزواجه والذي يسميه الناس (شهر العسل) حافلاً بالشروع بأعمق جهد عقلي إسلامي (الأسس المنطقية للاستقراء)، لكأن الرجل لم يخلق للدنيا حتى لنصيبه الحلال منها، وكأنه لم يكن إلا هماً متصلاً واحداً مستوعباً اسمه (الهم الإسلامي) على كل حال، وفي أية مناسبة أو مجال.

وقد وجد في حَرَمِه المكرمة سكنه المثالي الذي كان ينشده، وقد أنجبت له ستة أولاد، خمس بنات وابناً واحداً. وكانوا له مع أمهم غاية ما يطلبه هو والصالحون من أمثاله من السعادة الأسرية، يدعون ربهم قائلين: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين)، وكان أدبه الرفيع معهم هو أدب دينه ورسالته، وكان له معهم لون من التعامل السلوكي الفذ النابع من القلب والعقيدة، فجسد به لهم حقيقة المطلوب الإسلامي للزوجية والأبوة، ولم تمهلهم يد الجلادين طويلاً مع هذا النعيم الإنساني الغامر فاختطفته منهم ليعيشوا الثكل واليتم بفقده حيث هم في أوج الأنس به، والحاجة إلى ألطافه وعوائده، ولم يلفوا من بعده ما ألفاه غيرهم من عوائل من هم دونه في الشأنية - من إرث الأموال، وأسباب العيش الناعم، وكان حالهم أسوأ من حال الكثيرين في أمتهم ما دام الملاك الراحل لم يترك لهم سوى الخط، والمنهج، ووصاياه الكريمة بالصبر والاحتساب والمواصلة، وخرجوا بعد شهادته من البيت الذي لم يكن بيتهم في النجف، لينتقلوا إلى بيت الصهر في بغداد، مع دوامة اللوعة، والأسى، والحصار الأمني،

وظروف المحنة الفاقمة التي هوّن خطبهم فيها أنها محنة كل الأمة.

وربما يتذكرون مأخوذين بدهشة الإعجاب كيف أن أباهم في أواخر أيامه قد أفرغ يديه مما كان تحتهما من المال الذي يراه حق الله والرسالة، وبعث به إلى حيث ينشد له أن يبذل، وكأنه لم يكن يجد كما وجد غيره متسعاً فقهياً تكون فيه هذه العائلة مورداً من موارد البذل من مال الله الذي يكفلها من بعده ولو إلى حين.

ـ انطلقت مسيرة الصحوة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي بهمة علمه الوتر، وبصيرته المتفردة، وجهاده الموصول بذروة الصدق والفداء، وطلعت على دنيا المسلمين شموس الفكر العملاق من فجره المهيب، وتجديده العجيب.

ـ كانت كتبه المزينة بأوسمة العز والشموخ والتفرد معين العقول الظمأى إلى أصالة الفكر الحق، وزاد الأفهام الغرثى إلى الحقيقة المثلى، وضالة الباحثين عن مظنة العلم، ووثيقة الفهم، وسلاح الجهاد الفكري المعصوب بالفتح الأكبر في صراع المبادئ والنظريات والمناهج.

ـ تميزت نزعته التجديدية بأرفع محاسن الكمال العلمي التخصصي على صعيد الحوزة، وبروائع العطاء الفكري والثقافي من ذهنيته الموسوعية المبدعة على الصعيد العام.

ــ طلع على الأمة بفتوحاته العلمية الكبرى، وإنجازاته الفكرية الشاملة التي عز نظيرها في شتى مجالات الفكر الرشيد والثقافة السديدة، كالفلسفة، والاقتصاد، والمنطق، والأخلاق، والتاريخ، والسيرة، والرجال، والحديث، والعقائد، وعلوم القرآن، والقانون، والسياسة المالية والمصرفية، ومعارف العمل السياسي والقيادي.

ـ أتصف عطاؤه العلمي الفريد بالعمق، والشمولية، والدقة، والموضوعية، والبرهنة، والاستدلال الذوقي والعقلائي، والنزعة المنطقية، وبالمعاصَرَة، والحيوية، والتجديد، والمنهجية، والمواكبة لروح الحياة الصاعدة المتطورة، واستنطاق الواقع، وملء فراغاته بالنصوص، والنزول إلى الميدان بالاقتدار الفكري والحضاري، وصياغة الكليات والخطوط

العامة والنظريات من تفصيلات الشريعة ومفرداتها، وأمتاز أيضاً بروعة الطرح والبيان، وبالتيسير، والمعايشة، وجلالة الابتكار في عرض المضامين بلسان الزمان وروح الحداثة، فهو بحق مجدد الإسلام، ورائد الصحوة الإيمانية ، وزعيم الانبعاث الفكري والثقافي الإسلامي بكل فتوحاته الكبرى.

أما سلوكه المتميز فقد كان أبرع من سواه من خصائص الصدر في العطاء، والتغيير، والشد، والتأثير. لقد كان هذا السلوك السوي النابع من صدق العقيدة والالتزام ناطقاً مفوّهاً على صمته، يدعو بابلغ النداء وافصح البيان، يشد القلوب والأرواح إلى نهجه الخالد بتجسيمه له في واقعه المعتصم بالسلامة، فهو الواعظ المتعظ، والعالم العامل، والمسدد والسديد، والمرشد الرشيد. لقد كان إسلاماً مجسداً تحتشد في صفحاته الزهر إشراقة الإيمان من صرامة الاعتقاد، وروعة التطبيق في ذروة الانقياد، وبهاء التسامي في

عزة الترفع والإيثار، وجلالـة التكامل بالسجايا الغر وشمائل الأخيار. لقد كـان صـدقه المشحون ببراهين الممارسة الفاردة، وزهده المشفوع بواقع الاعراض الصـارم عن كل سفاسف الدنيا، وعرفانـه الصدوق الذي وشت به الفعال والمواقف من صباه الشامخ إلى يوم عروجه من محراب الشهادة، كل أولئك كان دليل يقينه في أعلى ذراه، وشاهد عشقه لربـه فـي منتهاه، وبرهان ولائه اعتصاماً بأوثق عراه.

ـ لقد حيّر عارفيـه، وزائريـه، ومقلديـه، بروعـة الأخـلاق، وسمو الشيم، وحسن الفضـائل، وقد رأوا فيـه نموذجـاً علمائيـاً فريـداً فـي الخصـال والمحامـد، فاغرموا به مصداقاً قيادياً يجسم ما قرأوه عن شمائل آبائـه الميـامين، وولهـوا إليـه مرجعـاً اجتمعـت لديـه شمائل الريادة الصادقة، والإمامة الهاديـة، فهو العـالم المكين، والعبقري المتين، والعابد العارف الزاهد، والثـائر الهمام المجاهد، والسمح المتواضـع، والهش البسام البشوش، والـوادع المنفتح القريـب، ذو الذوق

الرضي، والطبع الزكي، والمحيا السني، لم تحجزه عن أمته حواجز الأنفة والتعالي، ولم تقم بينه وبينها فواصل الهموم الدنيوية، ولم تغب به عنها مغارب الصعاب والمتاعب، فقد أنفتح عليها قلبه أيّما انفتاح، وكاشفها ضميره أيّما مكاشفة، وبرز إلى الميدان قبلها فكان أقرب منها فيه إلى الأذى والمخاطر، وأبعد عن الأمن والراحة، وقد صدقها الحب والنصح والرجاء، وبذل لها غاية البذل والعطاء، لم يأمرها بالبر وينسى نفسه، فلم يناقض لسانه فعاله، ولم تباين ممارساته أقواله، واساها في همومها وعنائها، وكان معها في بؤسها وضرائها، فهو تجسيد ما أراده جده أمير المؤمنين للقادة الصادقين (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَة الناس).

ـ كان أنساناً أخرج الدنيا من قاموس توجهاته ورغباته، وتمحّض لربه ورسالته فكراً منزهاً، ومشاعر مطهرة، وحركات وسكنات محررة، وهموماً مقدسة، وجهوداً حميدة ، ومساعي نبيلة، أخذت عليه كل احساسه ووقته، فلم يبق فيها لما

سوى الله ورضاه إلا اليسير المطلوب من ضرورة الحياة بهدف المواصلة الشريفة على خط الجهاد الذي ورثه عبر الأصلاب والأرحام، والتزمه فريضة هي سنام الفرائض والأحكام.

ـ لم تكن الدنيا من همه، ولا مغرياتها من خوادعه، ولم يملك من زخارفها ومطالبها بيتاً، أو عقاراً، أو وسائل ترف وترفيه، وحين عرض عليه البيت طلب من واهبيه أن يفكروا بما هو أجدى من ذلك عنده وهو بناء المأوى لطلاب العلوم الدينية، فذلك من ضرورات استقرارهم، أما هو فيرى أنه عديم الرغبة فيه، والحاجة إليه.

ـ لقد نبذ كل دواعي الدنيا وبهارجها، وحاربها حتى في إطراء العناوين والألقاب، فلم يقبل أن يكتب له على فرائد أمجاده (مؤلفاته) إلا اسمه الخالي من الزوائد المقيتة التي عزفت عنها روحه المشدودة بمعدن الجمال والجلال، فلا تجدهما إلا في حبه ووصاله، لا في أوسمة الصفات، ونياشين النعوت، وبروق المديح والثناء. ويتحفنا تاريخ المكارم الصدرية في هذا المجال أنه (رض) انفعل مغضبا

في وجه واحد من محبيه من الخطباء، أراد أن يمدحه بقصيدة أمامه وعلى مسامع الحاضرين في مجلس عقده الصدر في بيته في إحدى المناسبات، ورفض بغاية النفور السماح لذلك المحب وهو خطيب المجلس أن يستمر في الثناء عليه، ولو كلفه ذلك أن تتقوض أركان مجلسه، ويخرج ذلك الولي الحميم مخذولاً من بيت حبيبه، وهذا ما حصل بالفعل.

- نذر نفسه للرسالة نذراً صادقاً مبروراً، ومشى في عروقه منذ البدء شغفه بالشهادة، معتبراً وجوده قرباناً لدينه، ما دامت شجرة هذا الدين لا ترتوي لتينع إلا من مهج الأزكياء، ونجيع المقربين، ومن هنا كان شعاره المعروف (لقد صممت على الشهادة) أصدق شعار سمعته واعية الزمان من أمناء الغيبة الكبرى من فطاحل العلم والجهاد، وسار به صدقه فيه على خطى الحسين (ع)، ليجدد ملحمة عاشوراء حماسة ولوعة بالتأسي الأمثل، ويستعيد بطولاتها وجراحها بالتجسيم المحبور بنعمى الموائمة الأكمل.

- تعرض للاعتقال عدة مرات من قبل السلطة العفلقية الغاشمة التي كانت ترى فيه رأس حربة

الرفض المسددة إلى كيانها، ولولب التحرك ضدها لإزاحة الطاغوت، وإيجاد البديل السياسي الرشيد القائم على أساس الشريعة، وكان اعتقاله في ١٧ رجب ١٩٧٩م سبب الانتفاضة الرجبية التي أشعلت أخته (بنت الهدى) فتيلها، فانبعثت من النجف وامتدت إلى أماكن أخرى في العراق، الأمر الذي أرغم الزمرة الحاكمة على إطلاق سراحه كموقف مؤقت، إلى أن تسنح الفرصة المناسبة للخلاص منه خلاصاً نهائياً.

تم احتجازه في بيته بعد أيام من الإفراج عنه ـ موضوعاً تحت الإقامة الجبرية، مكبلاً هذه المرة بأغلال الجدران، ووحشة فراق الأمة. وحين أحست حكومة الشيطان أنها بحاجة إلى أن يُفتح له الباب لتتعرف مريديه ففعلت، أدرك هو هذه المكيدة فأغلق بابه على نفسه، ليكون حصاره طوعياً وبإرادته ليصون أحبابه من شر الظالمين، مُؤْثِراً إياهم على نفسه وراحته، رافضاً أن يكون هو أحبولة الصيد التي يصطاد بها أعداؤه أولياءه وأنصاره، وهو يعلم أن هذا التحدي السافر للجناة المجرمين لا يزيدهم إلا سخطاً عليه، وهو يؤكد لديهم حقيقة الصدر الرافض

الذي نصب لهم العداء، وخرج على إرادتهم، ولم يدع أي مجال حتى للتبرير بما يسمى التقاء المصالح، ما دام هذا الالتقاء الذي قد يجلب له نفع الدنيا ـ هو مفسدة الدين، وخراب الآخرة.

ـ اعتقلته عصابة الجور في مسعاها الأخير مع عدوها اللدود وذلك في الخامس من نيسان ١٩٨٠م، وقامت باعتقال أخته الطاهرة (بنت الهدى) بعد يوم من اعتقاله، حيث تم إعدامهما بجرم التصدي لقيادة الأمة نحو التغيير الإسلامي، وقد تركا خلفهما راية الجهاد، ومسؤولية العمل الرسالي ـ أمانة في أعناق المؤمنين الصادقين والمؤمنات الصادقات، مسجلاً هو لهم نداءاته بصوته، يجدد بها نداء جده السبط، الشهيد، رائد الأحرار، يبين أهداف الثورة، وحتميتها، وظلم الطغاة الحاكمين، وظلامة الأمة المقهورة، ووجوب السعي المتواصل في مسار التحرير.

ـ تم دفنه بعد اطلاع ابن عمه السيد محمد صادق الصدر على جثمانه في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف، في ٩ نيسان ١٩٨٠م، في ذلك اليوم الذي عاد مهيباً بعد حفنة من السنين ليشهد

سقوط عرش الطاغية في حضيض المهانة الأبدية ولعنة التاريخ، ويرى أمة الصدر العظيم تهب من كل مكان تهتف باسمه وخطه، معاهدة رمزها على الصدق، والوفاء، والثبات على منهجه الأصيل، مهما طال المسير، ومهما كانت التبعات والتضحيات.

ـ ظهرت كرامة جسده الشريف الذي صانه الله من مؤثرات القبر ـ علامة باهرة من علامات اللطف الإلهي، والعناية الربانية، بذلك الإنسان الشامخ الذي جعله الله موضع رعايته وتأييده وتسديده في حياته وبعد موته. وقد تحدث عن ذلك الأشخاص الذين جازفوا باستخراج الجثمان الطاهر من القبر الذي دفنته فيه السلطة، بعدما أرادت شق طريق فوقه لتضييعه، ومنع زواره من أحبائه الذين اهتدوا بلطائف السبل إلى ضريحه، متوجسة أن يتحول مزاراً مقدساً يثير رعب المجرمين وهلعهم. وذكر هؤلاء المضحون أنهم في نقل الجسد من ذلك القبر إلى قبر مؤقت، ثم من هذا إلى القبر الموجود فعلاً حيث كانت المسافة الزمنية بين دفنه الأول والثالث (١٦) عاماً، لم يجدوا أمامهم إلا جثماناً سليماً كأنه قد دفن في يوم استخراجه، وأثار استغرابهم ذلك

الضباب الأبيض الذي كان يملأ القبر، وقد أعثرهم الله على خاتمه في إصبعه، فقاموا بتسليمه إلى زوجته الكريمة التي تحتفظ به مع شيء من كفنه والصور التي التقطت لمشاهد الكرامة، والتي انتشرت في الأرجاء، كما وضعت عند القبر للزائرين، آية بينة للتدبير السماوي لصاحب الجثمان الشريف الذي كان فرداً في خوف الله، فجعله الله فرداً في استحقاق لطفه وعنايته.

ـ وهكذا كانت النتيجة في الختام من كل جهد الصدر الذي استخلصه لله ودينه وعباده ـ أن صيّره ربه رمزاً للثائرين، ومنارة للعابدين، وأسوة للعاملين، ومنهجاً للفداء، ومعراجاً إلى العلياء، وحفظ له ذكره، وأعز أمره، وقدس سره، وأذل أعداءه منتهى الإذلال، وأنزل بهم أشد ألوان النكال.

فسلام على الصدر يوم ولد، وسلام عليه يوم استشهد وسلام عليه في عليين، مع محمد وآله الطاهرين.

*****

مؤلفاته:

ـ الأسس المنطقية للاستقراء ـ فلسفتنا ـ اقتصادنا ـ المدرسة الإسلامية ـ الإسلام يقود الحياة ـ غاية الفكر في علم الأصول ـ بحوث في شرح العروة الوثقى ـ البنك اللاربوي في الإسلام ـ دروس في علم الأصول ـ بحث حول الولاية ـ فدك في التاريخ ـ بحث حول المهدي ـ الفتاوى الواضحة ـ تعليقة على منهاج الصالحين ـ المعالم الجديدة للأصول ـ موجز أحكام الحج ـ المدرسة القرآنية (التفسير الموضوعي).

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسولِ الله، أمينِ الله على وحيه وعزائمِ أمره، الخاتمِ لما سَبَق، والفاتحِ لما استُقبِل، المنصورِ المؤيّد، أبي القاسم محمدٍ ورحمة الله وبركاته. السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، وموضعَ الرسالة، ومَهبِطَ الوحي، ومختَلَف الملائكة، وخُزّانَ العلم، وحُجَجَ الله في بلاده على عباده ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا وارثَ الهدى والإمامة، وقائدَ الأمّة على طريق النجاة والكرامة. السلام عليك يا إمامَ المجاهدين، وأسوةَ العاملين، وزينَ المضحّين الباذلين.

السلام على النفس الزكيّة، والشمائل الرضيّة، والقيم البهيّة. السلام على من احتمل الأمانة الكبرى وأدّاها، وأعطاها من جهده حقها واقتداها، مستخفّاً بالخطوب والكُرُباتِ، مستهيناً بالرزايا والمصيبات، يرى الشهادة من أجلها أسمى منى السالكين، ولقاءَ الله في عزها غاية سعي الطالبين.

السلام عليك يا حاديَ الركب، ودليلَه في خَبط[1] المتاهات، وبِبراسَه الوضّاءَ في الظلمات والعَشَوات[2]، ووعيَه المحييَ، المعيذَ في مُحول[3] الجهل، وخَتْل[4] الشبهات.

السلام على باقر الشريعة وواعيها، وذروة الكشف عن أبعادها ومراميها، وآية الصدق في الذبّ عن

(١) الخبط: المشي على غير هدى وبصيرة، خبطه الشيطان أي مسه بأذى.
(٢) العشوات: العشوة: الظلمة، والأمر الملتبس، والحيرة.
(٣) المحول: الجدب.
(٤) الختل: الفتنة والاغواء، والخداع.

حياضها ومغانيها[1] . السلام على مجدّدِ الإسلام، وكهفِه الحصين . السلام على عملاقِ الفكر الحقِ، ومنارةِ المُبدعين .

السلام على رائدِ الصحوة، والوعي المتين . السلام على سليلِ الأباء، ونبتةِ عاشوراء . السلام على من أورثه فاتحُ الطفّ لواءَ الفداء . السلام على من أَنِس بالموت لما رأى نفسه قربانَ الرسالةِ، يوقَدُ مصباحُها من

(١) المغاني: المغنى: المنزل والدار.

نزف قلبه المحبور، ليظلّ واصبَ[١] الإشراق بطلعة النور في كثافة الديجور[٢]. السلام عليك يا عَبقةَ المَحتِد[٣] الفذّ المكين، موصولةً بهلّة الإصباح في الأفق المبين، مزهوّةً[٤] بأشرف المنابت والأصول، منسابةً من مطلع العلى إلى صُلب حيدر ورَحِم البتول[٥]. السلام عليك يا فتنةَ الله[٦] في محتوم البلاء. السلام عليك يا سُلالةَ

---

(١) واصب: مستمر.
(٢) الديجور: الظلام.
(٣) عبقة المحتد: عطر الأصل وأريجه (والمقصود هنا النسب).
(٤) مزهوة: ناضرة، مشرقة.
(٥) هما والدا الإمام الشهيد.
(٦) فتنة الله: الامتحان الإلهي.

الثأر[١] من نَجيع كربلاء . السلام عليك يا رمزَ المسار، وقدوةَ الأحرار . السلام عليك يا مثالَ التقوى واليقين العُجاب . السلام عليك يا ملحمةَ الصبر والاحتساب . السلام على من أخلص دينه لله، فلم يأْبَه أن يكون رَمِيّةَ[٢] الأضغان، ومباءةَ[٣] الأشجان . السلام عليك يا من آثَرَ أمّته على نفسه، فسامَرَ النّكْباء[٤] والضرّاء،

(١) سلالة الثأر: السلالة: النسل والولد والعصارة والخلاصة.
(٢) الرميّة: الهدف.
(٣) المباءة: موضع الإقامة والاستقرار.
(٤) النكباء: الشدة والنكبة.

ومعرّة[١] السفهاء، وتلوّنَ له الشانئون والحاسدون تلوّنَ الحرباء[٢]، لا يألونه[٣] مساءة وأذى، ولا يبغونه إلاّ تَباريحَ الشجا[٤].

السلام على مَعقِل الإيمان والتوحيد، وَعَيبة الفهم[٥] الرشيد، للقرآن المجيد، والنصّ السديد. السلام على قاهر الالحاد والضلالات، ونافخِ الفكر روحاً في رهائن

---

(١) المعرة: المساءة والأذى والأمر القبيح.
(٢) الحرباء: نوع من الزواحف تتبدل ألوانه، ويضرب به المثل في التقلب.
(٣) لا يألونه: لا يقصرون.
(٤) تباريح الشجا: شدة الحزن.
(٥) عيبة الفهم: موضعه ومصدره.

الهَلَكات. السلام عليك يا واعظَ العصر، يفوهُ بالمواعظ الشافية بعد تجسيدها، فهو أصدق الواعظين. السلام عليك يا ناسكَ[1] الأمّة، ينطق سلوكُه ـ المستعصمُ[2] ـ بالبلاغ الفذ، فهو أنطق الصامتين. السلام عليك أيها الآمر بالبِرّ نفسه قبل غيره، فهو أشرف الآمرين. السلام عليك يا من لم يَستتر من سواهُ للجهاد قبل أن يكون الفائتَ عن اللحاق، وفارسَ

(١) الناسك: العابد.
(٢) المستعصم: الممتنع.

الميدان، ولم يطلب من غيره لرسالته قبل أن يأخذ لها من وجوده باهظَ الأثمان. السلام على من حالفَ النزاهةَ والزهدَ، فكانا شعارَه ودثارَه[1] طولَ المدى، وجانفَ[2] الاسفافَ[3] والسَفسافَ[4]، فهما عنده شرّ العِدى. السلام عليك يا من عَرَف نفسه، فعرف ربه، فكانت مخافةُ الله رأسَ حكمته، وسرَ قدرته،

---

(١) شعاره ودثاره: الشعار اللباس الذي يلي البدن مباشرة، والدثار هو ما فوق الشعار.
(٢) جانف: ابتعد.
(٣) الاسفاف: طلب الأمور الدنيئة.
(٤) السفساف: الرديئ.

وسَنامَ عزّته . السلام عليك يا من عبد اللهٰ كما أراد أن يُعبَد ، فكان خشوعُه ـ في محراب الثورة، والحسرات، والتضحيات ـ أقدسَ الفروض والواجبات، وأحمدَ الوسائل والقربات . السلام عليك يا من سخّر عمره الشريف لدينه، فلم يجعل دينه مرتعاً لذاته، باذلاً جهدَه المبرورَ في خدمته، ولم يُصيّره جسراً إلى رغباته . السلام على صانع الثورة، وفاديها بمهجته الطهور، متقحّماً بلوائِها الخفّاق أمواجَ الشرور . السلام على من نذر حياته لله، والعباد ، والمَعالي، فارتقى للاداء

والوفاء رؤوسَ الحِراب والعَوالي[1]، ينشدُ القُربَ من مولاه في حَرّ الأَتون[2]، ويطلبُ وَصله الأنوسَ في ريب المنون[3]. السلام على من لَزِم بيِّنةَ الهدى و(حقَ الطاعة)[4] محفوفَين بالمكاره في شبواتها[5]، نائياً عن اعتساف[6] الاوهام والمدخول[7] بحثاً عن المَندوحة[8]

(١) العوالي: الرماح.
(٢) الأتون: موقد النار.
(٣) ريب المنون: الموت.
(٤) بينة الهدى وحق الطاعة: إشارة إلى مسلك حق الطاعة في علم الأصول الذي تبناه الإمام الشهيد والقاضي بعدم البراءة العقلية من التكليف مهما كانت درجات وصوله إلى المكلف.
(٥) شبواتها: غاية قسوتها.
(٦) الاعتساف: ركوب الأمر بغير هدى وبصيرة.
(٧) المدخول: المعيب والمهزول، إشارة إلى الروايات الدخيلة الواهنة.

المَندوحة[١] في مَعامي[٢] فلواتها . السلام على القلب الراعف، والجرحِ النازف، والعين الساهرة في أقدس الهيام، والعبرة السَجوم[٣] لأسرى الظلم والظلام .

السلام على اللهفة الزاكية، والزفرة الوارية[٤]، والسُهاد[٥] الشريف، والشعور الرهيف . السلام على يقظة الضمير، وقيامة الوجدان، وشموخ النفس اللوّامة،

---

(١) المندوحة: الفسحة، إشارة إلى مسلك (قبح العقاب بلا بيان) الذي يقول بالبراءة عكس مسلك حق الطاعة.

(٢) المعامي: المجاهل والمتاهات.

(٣) العبرة السجوم: العبرة: الدمعة أو الحزن بلا بكاء، والسجوم: الكثير.

(٤) الوارية: المشتعلة.

(٥) السهاد: السهر.

والموازينِ القِسطِ في محكمة الانصاف. السلام على وِسامِ النُبل، وأَلَق الفضيلة، ورِقة الاحساس، وبهاءِ التسامي، وجلال الذوب الباهر بالتكليف، وبرهانِ الشَغَف[1] الغلّاب[2] بالغاية. السلام على السَبق المشهود، وروعةِ الإبداع، ومعجزة اليَراع[3]، وعروة العبقرية، وفرائد الفُتوح. السلام على بهجة

---

(١) الشغف: غاية الحب.
(٢) الغلاب: القاهر.
(٣) اليراع: القلم.

الإِشراق[١]، ونَضرة الأشواق[٢]، وفسحة الآفاق[٣].

السلام على عَرامة الإقدام[٤]، وعُنفوان البسالة[٥]، وفرط[٦] الاحتمال، ورسوخ الاتّكال. السلام على من استهوته دارُ الخُلد فعاش قالياً[٧] دارَ الزوال، لم يملك من

---

(١) بهجة الإشراق: إشارة إلى المنحى الإشراقي الذي يطلب الحقيقة الإلهية بالعرفان والدليل، أي عن طريق القلب والبرهان.
(٢) نضرة الأشواق: إشارة إلى العشق الإلهي، وما كان يتمتع به الشهيد من العرفان باصدق أطواره.
(٣) فسحة الآفاق: إشارة إلى تعدد المديات العلمية، وفضاءات المعرفة لدى الشهيد.
(٤) عرامة الإقدام: شدة الجرأة وعدم التردد.
(٥) عنفوان البسالة: منتهى الشجاعة.
(٦) فرط: فرط الأمر: غاية حده، وبلوغِهِ آخر مداه.
(٧) قالياً: هاجراً.

من ترابها إلّا قيد قَدّه[١] في قبره مَعبَراً إلى أبهى مآل، وهام متيّماً بالبقاء الأسمى في منتهى العَلاء، فلم يحظ منه العَرَض الذاهب إلّا بالصدود والجفاء. السلام على مذبح الهوى الفتّان، وخيبةِ الزُخرُف السخيف، ونكوصِ النفس الامّارة.

السلام على صدق التأسّي، وحقيقة الالتزام، ومأثرة[٢] الترفّع، وشَجو الظلامة[٣]، ومكرمة الإيثار،

---

(١) قيد قدّه: بمقدار القد أي حجم الجسد، إشارة إلى مساحة القبر.
(٢) مأثرة الترفع: المأثرة: الفعل الحميد الباقي أثره.
(٣) شجو الظلامة: الشجو: الحزن، والظلامة: الوقوع تحت طائلة الظلم.

وهيبة الوقار . السلام على اقتدار النهى[1] والتقى أمامَ مَيعةِ الشهوات، ووجوهِ الحيلة، وهياجِ الرغبة، وفورةِ النَزَغات[2]، ومؤاتاةِ التشفّي[3]، وتسويلِ الميول[4]، ونُهزةِ المطامع[5]، وإسناءِ[6] الرضى والراحة. السلام على مَعاذ[7] الورع الصارمِ إزاءَ فتْلِ المعاذير[1]،

---

(١) النهى: العقل.
(٢) النزغات: ما ينزغ القلب ويصرفه عن الحق من وساوس ورغبات.
(٣) مؤاتاة التشفي: إمكان الوصول إلى ما يسكت الغيظ وهو الانتقام.
(٤) تسويل الميول: اغواء الاهواء.
(٥) نهزة المطامع: فرصتها.
(٦) اسناء: اسنى البرق أي لمع وأضاء، واسناء الرضى والراحة أي ما فيهما من دواعي الرغبة بالخلاص من الهموم والمشاكل.
(٧) المعاذ: موضع الاستعاذة واللجوء.

واستدراجِ الأوهام الساهية[٢]، وخداعِ التبرير، واستهواءِ[٣] النياشين، وبريق[٤] الشارات، وتهويم[٥] الغفلة، واستنامةِ التسويف[٦]، وتسويغِ الشأنيّةِ[٧]، واعترامِ[٨] اللذات وطاغوتِ الأنا والذات. السلام على اللائذِ بركن الاعتصام البصير، المتجلدِ في الحرب

---

(١) فتل المعاذير: خداع الأعذار والمبررات.
(٢) الأوهام الساهية: اباطيل الأماني والأهواء، والساهية : البليدة.
(٣) استهواء: استهواه: ذهب بعقله، وحيره، وزين له، وأغراه.
(٤) بريق الشارات: الشارة: علامة الشرف والفضل، وبريقها هو لمعانها وزينتها.
(٥) تهويم الغفلة: التهويم: هو النوم القليل، أو غلبة النعاس.
(٦) استنامة التسويف: المقصود حالة الغفلة والجمود الناجمين من التأخير والتباطؤ.
(٧) تسويغ الشأنية: انخاذ الشأن والمقام ذريعة ومبرراً.
(٨) الاعترام: الخروج عن الحد في الشدة.

العَوَان[1] لحبائل[2] الآمـال، وتـزيينِ المنـى، وجـواذبِ الرخاء، وبردِ السلامة، وأفياءِ الأمان، وأنغامِ النعيم، في مَغـاني الركون[3] والتسـليم، وعـوارفِ الإدهـان[4] الذميم. السلام على الصبر الفرد، المتحصن بالعرفان الفذ، يذُبّ عن حِمى المجد عواديَ الشَين[5] والهـوان، في ملحمـة الـرفض، على سـاحة التخيير بين السِّلّة[6]

---

(١) الحرب العوان: الشديدة والمتواصلة.
(٢) حبائل: مصائد.
(٣) مغاني الركون: مواضع التسليم والانقياد.
(٤) عوارف الادهان: عطايا المداهنة والملاينة.
(٥) عوادي الشين: شرور المعائب والمخازي.
(٦) السِلة: سلّ السيف، كناية عن الحرب.

والذلّة، قاهراً رعودَ القوارع[١]، وسطوةَ الترويع[٢]، وشفرةَ السيف، وفصولَ الغيظ، وشِرّةَ الشنآن[٣]، وأهوالَ الحصار، وتقطيعَ الاوصال، وأنيابَ العُسلان[٤]. السلام على من صَدَقَ العهدَ والجهدَ، فهداهُ اللهُ سبلَهُ وحبَاه، وأصفاه[٥] بوصله في الدارين

(١) القوارع: الخطوب والنكبات.
(٢) سطوة الترويع: شدة التخويف.
(٣) شِرّة الشنآن: فورة الضغينة والحقد.
(٤) العُسلان: الذئاب.
(٥) اصفاه: استخلصه واختصه وحباه.

تَكْرِمة[١] وأرضاه، وتَرَكَ عليه في الآخِرين[٢]، سلام على الصدر الأمين.

السلام على من أعزّه الله بالكرامة المشهودة، وصان جثمانه الميمونَ في روضة المَلْحودة[٣]. السلام على الجسد الزكي الذي مشت به الأعوام موفورَ الأمان، يحفّه قبرُهُ الهَيمان[٤] بالتَرحاب مشبوبَ[٥] الحنان.

---

(١) تكرمة: اكراماً.
(٢) ترك عليه في الآخرين: أبقى ذكره حميداً.
(٣) الملحودة: القبر.
(٤) الهيمان: الشائق، وشديد الوجد.
(٥) المشبوب: شديد التوقد.

السلام على مقام المرجعية الرشيدة، والمواقف المجيدة. السلام على من ائتلفت فيه روائع الكمال، شَمَمُ الزعامة، والمعارف، والخصال. السلام على من أعاد الله به من غُرّ أيامه يومَ الطفوف المستبين. السلام على من تجددت به مكرورةً. صرخةُ الحق تدوي في وجوه المفسدين.

السلام على من كان بَوارُ[1] أعدائه الجناة قَدَراً مقدوراً في الزمان، في ذلك اليوم الذي حَسِبوا فيه أنهم أمِنوا بدفنه سَورةَ[2] البركان.

السلام على حليف دربك (بنت الهدى).

السلام على عظيمة الشأن، بعيدة المدى. السلام على غذيّة فكرك، وربيبة سرّك[3]، وظهيرك في أمرك،

---

(١) بوار: هلاك.
(٢) السَورة: الحدة والسطوة.
(٣) ربيبة سرك: أي تربت في أحضان رعايتك، وتوجيهاتك الخاصة.

ورفيقك في حرّ السيف[١] وفي أجرك. السلام على

التي ورثت من أمها الزهراء البتول، شموخَ طُهرها،

ودورها، وقبرها المجهول. السلام على التي استلهمت

من عقيلة الأباء، صيحةَ الرفض تهدّ الادعياء. السلام

على التي جَفَت[٢] زهرة الدنيا لهُوفاً إلى ربّها،

وتسنّمت[٣] ذرى النائبات معراجاً إلى مليك قلبها.

---

(١) حر السيف: القتل.
(٢) جفت: عزفت، وهجرت.
(٣) تسنمت: تسنم الشيء أي ركبه وعلاه.

السلام على أنصارك الأوفياء، ورجالك الأصفياء، الذين مشوا على الجمر في خطك لا يسأمون، وتحدّوا شراسة الهول بأمرك لا يَنكِلون[1]، أولئك الذين صَدَقت عهودهم، وما عَثَرت جُدودهم[2]، فقضوا بين يديك ومن خلفك صابرين، وأدّوا فرضهم في ولائك ونصرك صامدين.

(١) ينكلون: يرجعون.
(٢) عثرت جدودهم: خابت حظوظهم.

لعن الله يا سيدي ظالميك وقاتليك من الطغاة والملحدين، ومن أعانهم، ومهّد لهم، ومن رضي بذلك من الشانئين[١] والحاسدين. لعناً يكون كِفاءً[٢] جرمهم، يُبلِسهم[٣] به أحكم الحاكمين فيمن سبقوهم من العُتاة والأشقياء، من قَتَلَة الأنبياء والأولياء. لعن الله من أضاعوا حقك، وصغّروا قدرك، وغمزوك[٤] ظالمين،

---

(١) الشانئين: المبغضين.
(٢) الكفاء: ما يكون مساوياً.
(٣) يبلسهم: يبعدهم عن الرحمة.
(٤) غمزوك: اغتابوك.

وَلَمَزوكَ[١] جاحدين، ونَبَزوكَ[٢] بالألقاب، وشنّوا عليك عاديةَ السُباب، جاهدين أن يطفِئوا نور اللّٰه في كلماتك، ويُبيروا[٣] عزمة الحق في وقفاتك، ويضربوا بينك وبين الأمة بالأسوار، ويصدّوكَ عن الهدف المنشود بأخشنِ العِثار، ولَمْ تَسلَم وأنت في عِلّيين من نزواتهم[٤]، ولم يأمنْ طُهرك المشهود لدغَ شَبَواتهم[٥].

(١) لمزوك: نموا عليك.
(٢) نبزوك: عابوك بالألقاب القبيحة.
(٣) يبيروا: يهلكوا.
(٤) النزوات: الرغبات المحرمة.
(٥) الشبوات: العقارب، أو ابرها خاصة.

اللهم ربَّ السماوات والأرض، ومالكَ الدنيا والآخرة، يا من له الأسماءُ الحسنى والصفات العليا، نسألكَ بمَعاقد العزّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وأسمك الأعظم، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تبارك على محمد وآل محمد، وتَرَحّمَ على محمد وآل محمد، كأفضل ما صلّيت، وباركت، وترحّمت، على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وأن تُكْرِمَ الصدر كما أكرم شأنك، وأُن تُعظِم أجره كما أعظم حقّك، وأن ترفعَ ذكرهُ كما أجلّ ذكرك، وأن تُعلي

منزلتهُ كما مجّد منزلتك، وأن تُخزي واْترِيه[١] على رؤوسِ الأشهاد[٢] يومَ الدين، كما أخزيتهم في دنياهم صاغرين[٣]، وأن تُضاعفَ لهم عذابَ الهُون[٤] في دَرَكات[٥] الشقاء يوم الفصل والجزاء، وأن تثبّتنا على خطه وهداه، وأن تُحيينا ما أبقيتنا مَحياه، وأن تمنّ علينا بشفاعته، وتحشرنا في زُمرته، وتتفضل علينا

(١) واتريه: ظالميه.
(٢) على رؤوس الاشهاد: أمام الملأ.
(٣) صاغرين: اذلاء.
(٤) عذاب الهون: العذاب المهين.
(٥) الدَرَكات: أسفل الدرجات.

بطيب جوارهِ في مستقر رحمتك، وبُحبوحة[1] عافيتك، إنّك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير، وأنت أرحم الراحمين. آمين ربّ العالمين.

(١) البحبوحة: السعة.